



منهج الإمام عبد الحميد بن باديس رحمته الله في كتابه مجالس التذكير من حديث البشير النذير

The Methodology of Imam Abdelhamid Ben Badis (may Allah have mercy on him) in his Book Majalis Al. Tadhkir min Hadith Al. Bashir Al. Nadhir

محمد الهادي بوحنيك

جامعة الجزائر 1 (الجزائر)
m.bouhnik@univ.alger.dz

كريمة مريني*

مخير الفقه الإسلامي ومستجدات العصر
جامعة باتنة 1 (الجزائر)
karima.merini@univ.batna.dz

تاريخ النشر: 15.07.2025

تاريخ القبول: 12-04-2025

تاريخ الاستلام: 09-02-2025

ملخص:

يعتمد هذا البحث إلى دراسة منهج العلامة عبد الحميد بن باديس رحمته الله في كتابه مجالس التذكير من حديث البشير النذير، إذ يشتمل على كيفية اشتغاله بالدرس الحديثي، وقد أتى على ترجمة للإمام ذاكرة نسبه ونشأته ومولده ورحلاته ثم ثناء العلماء عليه ووفاته بنوع من الاختصار، ثم تطرق للكتاب مبينا أصله وموارده، إلى أن تعمق في منهجه فيه، كل ذلك كان إحياء لتراث إمام الجزائر الإصلاحية مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ عبد الحميد بن باديس؛ مجالس التذكير؛ حديث؛ الإصلاح.

Abstract:

This study aims to examine the methodology of the esteemed scholar Abdul Hamid ibn Badis (may Allah have mercy on him) in his book Majalis Al-Tadhkir min Hadith Al-Bashir Al-Nadhir, focusing on the Hadith of the Prophet (peace be upon him), described as the bringer of glad tidings and the warner. It begins with a concise biography of the Imam, including his lineage, upbringing, birth, and travels. The study also mentions the praise he received from fellow scholars and briefly outlines the circumstances of his passing. It then analyzes the book, its origins, and its sources, providing a detailed analysis of his methodology within it. This effort seeks to revive the legacy of the Algerian reformist Imam and founder of the Association of Muslim Scholars in Algeria.

Keywords: Methodology; Abdul Hamid ibn Badis; Majalis Al-Tadhkir; Hadith; Social Reform.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

يعد العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله أحد أهم رموز الإصلاح في الجزائر المحروسة، وذلك لما تركه من آثار علمية وعملية في فترة حياته، وقد كان من بين تلكم الآثار العلمية التي هُذبت بعده حتى يعم نفعها؛ كتابه المسمى "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، إذ هو في أصله عبارة عن مجموعة دروس شفهية كانت تلقى للعمامة في المسجد أضيف إليها مجموعة مقالات كانت تكتب في مجلة الشهاب، فارتأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إظهارها بتلك الشاكلة زيادة في النفع، وتقديرا لطريقة العلامة ابن باديس رحمه الله في شرحه للحديث النبوي واستنباط المعاني التي من شأنها أن تعالج الواقع، من خلال إسقاطاته لتلك المعاني على بعض الآفات محاولا بذلك إصلاح الفرد والمجتمع.

أولاً: الإشكالية:

مما سبق ذكره يمكن طرح الإشكالية الآتية:

ما هو منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في شرحه للدّرس الحديثي من خلال كتابه مجالس التذكير من حديث البشير النذير؟

ثانياً: حدود البحث:

لا تخرج هذه الدّراسة عن كتاب عبد الحميد بن باديس المسمى مجالس التذكير من كلام البشير النذير، إذ تعرّف به وتبين عن منهج الشيخ رحمه الله فيه من خلال طريقة شرحه للأحاديث النبوية وكيفية تطبيقها على أرض الواقع.

ثالثاً: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدّراسة في النقاط الآتية:

- تسليط الضوء على علم من أعلام الجزائر وعلى جانب عنايته بالأحاديث النبوية.
- بيان منهج عبد الحميد بن باديس في تناوله للأحاديث شرحاً وتطبيقاً.

رابعاً: أسباب اختيار الموضوع:

- حاجة الجزائريين خصوصاً إلى معرفة جانب العناية بالأحاديث النبوية من خلال أعلام بلدهم.
- إظهار فهم الشيخ الإصلاحية فيما يتعلق بروح الأحاديث النبوية.

خامساً: الدراسات السابقة:

من خلال ما وقفت عليه، يمكن ذكر الآتي:

- رسالة ماجستير بعنوان: الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدّعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، للباحث عامر علي العراي، وقد كانت تحت إشراف الدكتور سليمان صادق البيرة، حيث نوقشت في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، سنة 1408هـ/1409هـ.

وقد كانت الرسالة خاصة بمنهج الشيخ في الدعوة وقد استفدت منها في الجانب النظري أكثر، أما هذا المقال فقد جاء خاصاً بمنهجه في كتاب مجالس التذكير.

- رسالة ماجستير بعنوان: الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه ومقاصده، للباحث يونس بوحمداد، وقد كانت تحت إشراف الدكتور: رضا بوشامة، حيث نوقشت في كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر، بالجزائر سنة 2015م/2016م.

وقد كانت الرسالة حول درسه الحديثي عموماً في كتابنا المقصود بالدراسة وفي غيره، إلا أن هذه الدراسة خاصةً بمنهجه في هذا الكتاب تحديداً وبشكل مفصّل.

سادساً: المنهج المتبع:

- المنهج الوصفي: وذلك بوصف حياة الإمام عبد الحميد بن باديس وكذا بوصف كتابه محلّ الدراسة.

- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء منهج الإمام ابن باديس في هذا الكتاب.

- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل المنهج والاستفادة منه.

سابعاً: خطة الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة، تمّ التمهيد فيها للموضوع مع ذكر أهمّ الدوافع والأسباب، مع التدقيق على ذكر الإشكالية المثارة، كما تمّ التطرق لذكر الأهداف المرجوة منها والمناهج المتبعة للسّير فيها. وقد تمّت معالجة إشكالية هذه الدراسة في أربعة جزئيات أساسية على النحو الآتي:

جاءت الجزئية الأولى خاصةً بترجمة الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله، أمّا الثانية فقد احتوت على تعريف بكتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ثمّ جاءت الجزئية الثالثة كجانب تطبيقي إذ تمّ فيها ذكر منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في هذا الكتاب محلّ الدراسة، أمّا الإسقاط العملي فقد تمّ في الجزئية الرابعة والأخيرة والمعنونة ب: ما يستفاد من منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في شرحه للحديث. وقد ختمت الدراسة بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج والتوصيات.

2. ترجمة الإمام عبد الحميد بن باديس

تتضمن هذه الجزئية ترجمة للإمام العلامة عبد الحميد بن باديس، تحت عدّة فروع بنوع من الاختصار، حتى تتمّ النظرة الشاملة حوله، على النحو الآتي:

1.2 اسمه ونسبه:

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن بركات بن عبد الرحمن بن باديس الصّنهاجي، ولد بمدينة قسنطينة من بلاد الجزائر.

أمّا أمّه فهي: السيدة زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلّول من أسرة مشهورة بقسنطينة لمدة أربعة قرون على الأقل، وعائلة "ابن جلّول" من قبيلة "بني معاف" المشهورة في جبال الأوراس⁽¹⁾.

2.2 مولده وزواجه وذريته:

ولد الإمام عبد الحميد في العام عام 1307 هـ الموافق لـ 4 من ديسمبر 1889م وهو الابن البكر لوالديه، ولد لعائلته قسنطينية مشتهرة بالعلم والتفوذ السياسي والديني، ولها تاريخ في محاربة البدع⁽²⁾. حين بلغ الخامسة عشر من عمره عام 1904م زوّجه والده بابنة عمّه، وأنجب ولدا اسماء عبده اسماعيل لكن الله عزّ وجلّ لم يكتب له العيش طويلا إذ توفي وعمره سبعة عشر عاما⁽³⁾، ولم يخلف بعده لأن الزّواج لم يدم طويلا كذلك.

3.2 حياته العلمية:

كانت للإمام ابن باديس صولات وجولات في البلاد العربيّة، وهو ما جعله يتلقّى العلم على كثير من المشايخ داخل الجزائر وخارجها.

أوّلا: طلبه للعلم في الجزائر:

كان قد جالس الشّيخ محمد بن المدّاسي، وهو معلّمه الأوّل، وأشهر مقرئي مدينة قسنطينة في زمانه، تلقّى عليه القرآن فأتقن حفظه وتجويده وأتمّ حفظه في السنّة الثالثة عشرة من عمره، ومن شدة إعجاب الشّيخ بتلميذه عمد إلى تقديمه ليصليّ بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتالية في الجامع الكبير⁽⁴⁾. وكان من شيوخه في الجزائر أيضا الشّيخ حمدان الونيسي وهو أحد زعماء الحركة القوميّة الإسلاميّة في الجزائر⁽⁵⁾.

ثانيا: رحلته في طلب العلم إلى الزيتونة:

رحل الإمام عبد الحميد بن باديس إلى تونس قاصدا الزيتونة طلبا للعلم عام 1908م، وقد كان مثالا للجد والاجتهاد في ذلك، واجتمع بعدّة مشايخ منهم: محمد النّخلي القيرواني، الأخضر بن الحسين، الطاهر ابن عاشور، وغيرهم⁽⁶⁾.

ثالثا: رحلته الى المشرق:

وقد مكث فيها ثلاثة أشهر قاصدا للحجّ التقي فيها ببعض الشيوخ، وكذا ببعض الأصحاب الجزائريين أمثال البشير الإبراهيمي، من شيوخه، ثمّ مرّ على دمشق ولبنان⁽⁷⁾، وكان من بين شيوخه في الحرم: حسين

(1) ينظر: عمّار طالبي، آثار ابن باديس، ج1، ص 72-73.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 72.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج 1 ص 74-75.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ج 1 ص 74.

(5) ينظر: عادل نويمض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 346.

(6) عمّار طالبي، مصدر سابق، ج1، ص 75.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص 80-81.

أحمد الهندي الفيض آبادي، الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي، أبو الفضل الجيزاوي المالكي، محمد عبد العزيز الوزير التونسي المدني⁽¹⁾.

رابعاً: العودة إلى الجزائر:

كانت هذه العودة تطبيقاً لمشروع العمر الذي أهتمّ ابن باديس وصاحبه البشير الإبراهيمي، إذ بعد رحلات حافلة بالعلم والاجتهاد، أسّس جمعيتّه الموسومة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين وكان ذلك في 5 ماي 1931م⁽²⁾، وما يزال امتدادها وعطاؤها ومنهجها إلى يوم الناس هذا.

خامساً: تلاميذه:

كانت ثمرة نشاطه التّعليمي كثرة تلاميذه، فقد أوصل عددهم لحسن بن علجية في معجم طلبة العلامة ابن باديس إلى ستمئة طالب، هذا فيما وصله من المصادر، وإلاّ فإنّهم يزيدون على ذلك كثيراً، منهم على سبيل الاختصار: مبارك الميلي⁽³⁾، الفضيل الورثياني⁽⁴⁾، عبد السلام السلطاني، وغيرهم⁽⁵⁾.

4.2. مكانته وأثاره:

أولاً: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد أثنى على الإمام عبد الحميس بن باديس الكثير من أقرانه وتلاميذه، لما علموا منه من خلق حسن وعلم جمّ، وهمّ في حمل الدّعوة إلى الإصلاح، قال الشيخ فيه صاحبه محمد البشير الإبراهيمي فيه: " الشّيخ عبد الحميد بن باديس، أعلم علماء الشمال الإفريقي، ولا أغالي، وباني التّنهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر"⁽⁶⁾.

كما أثنى عليه الشّاعر محمّد العيد آل خليفة يوم ختم القرآن تفسيراً في قصيدة طويلة نذكر منها⁽⁷⁾:

يراعك في التّحرير أمضى من الظّي	وأقضى من الأحكام أيّان يشهر
ودرسك في التّفسير أشهى من الجنى	وأبهى من الرّوض النّضير وأبهر
ختمت كتاب الله ختمة دارس	بصير له حلّ العويص ميسر
فكم لك في القرآن فهم موفّق	وكم لك في القرآن قول محرّر
قبست من القرآن مشعل حكمة	ينار به السّر اللّطيف ويبصر

(1) ينظر: عامر علي العرابي، الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدّعوة من خلال أثاره في التّفسير والحديث، ص 34-36.

(2) ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 71.

(3) ينظر: لحسن بن علجية، معجم طلبة الإمام ابن باديس، ص 10، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، ج 8، ص 175.

(4) ينظر: خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج 5، ص 153.

(5) ينظر: عبد العزيز فيلالي، التّفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس واحتفال الأمة بختمه، ص 137.

(6) أحمد طالب الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 5، ص 278.

(7) محمّد العيد آل خليفة، ديوان محمّد العيد آل خليفة، ص 146.

وبينت بالقرآن فضل حضارة
حكيت جمال الدين في نظراته
وأشبهت في فقه الشريعة عبده
أقر لها كسرى وأذن قيصر
كان جمال الدين فيك مصور
فهل كنته أم عبده فيك ينشر

5.2. وفاته:

"وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل لقي عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ربه، ليوارى الثرى في الثامن من ربيع الأول سنة 1353 هـ الموافق لـ: 16 من أفريل سنة 1940م، إثر مرض قصير لم يطل، وحامت الأقاويل حول موته فقيل إنه مات مسموما، وقيل بل كان موته طبيعيا، وهكذا الشأن في موت العظماء وبكته الجزائر كلها والمغرب العربي، وخرج الشعب الجزائري يشيعه إلى مثواه رغم ظروف الحياة القائمة في قسنطينة آنذاك، كما دفن بها"⁽¹⁾.

6.2. آثاره:

كان عذر الإمام عبد الحميد بن باديس في عدم الإكثار من تأليف الكتب رغم علمه الغزير، أنه اشتغل بتكوين الشخصيات وتأليف الرجال وإصلاح المجتمع، ولا تخفى على كل عارف به، جملته الشهيرة في هذا الصدد، حيث قال: "شغلنا تأليف الرجال عن الكتب"⁽²⁾، ومعروف منهج تلاميذه الإصلاحي والدعوي إذ رأى ثماره يانعة في حياته، ومع ذلك كان تحسره شديدا إذ لم يلتف أحد إلى تدوين الكثير من الدروس والخطب، فضاعت مع كل أسف، وكان يقول: لو أن التلاميذ أوتوا حظاً من النشاط والتوفيق لما ضاعت هذه الدروس ولنشرت كما هي ففزنا بالحسنين"⁽³⁾، فمما بقي من آثاره ما يلي⁽⁴⁾:

- تفسيره المسمى مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير طبع سنة 1963 ثم طبع بعدها مرارا.
- من الهدي النبوي وهو مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير طبع سنة 1965م.
- رجال السلف ونساؤه كتاب في التراجم، ترجم فيه لعدد من الصحابة طبع سنة 1965م بمكتبة الشركة الجزائرية.
- العقائد الإسلامية من الكتاب والسنة النبوية طبع سنة 1965م وأعيد طبعه مرّات.
- مجموعة كبيرة من المقالات السياسية والاجتماعية جمعت مع بعض ما سبق، وطبعت في كتاب طبع بعنوان مجموع خطب ومقالات ابن باديس سنة 1966م.
- مبادئ الأصول طبع بعناية عمّار طالبي ومعه املأوه في المصطلح كذلك طبع معه ونظمه محمد بن محفوظ الشنقيطي بعنوان جواهر الدرر في نظم مبادئ ابن باديس الأبر.

(1) عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس من مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 14-15.

(2) المصدر نفسه، ص 14.

(3) أحمد طالب الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 2، ص 195.

(4) ينظر: عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 14، عمّار طالبي، آثار ابن باديس، ج 3، ص 152.

- رسالة جواب سؤال عن سوء مقال وهو ردّ على بن عليوة المستغاني.
- ثلاث رسائل طبعت أخيراً بتحقيق لحسن بن علجية وطبعت بمطابع دار الهدى وهي: جملة من الأحاديث الثابتة في خروج الإمام المهدي آخر الزمان وهو ردّ على ما أخطأ فيه ابن خلدون بإنكاره في المقدمة ومن تأثر به وحدا حدوه.
- والتأفين لمنكر التآيين، وهو ردّ على معترض عليه بعد تأيينه للشيخ الطيب بن الشيخ الحسين أحد أعيان زاوية آل الشيخ الحسين بسيدي خلفه ولاية ميلة.
- وفتوى في مسألة بيع الحبس لشدة الاحتياج وهو جواب حول نازلة أرسل يستفتيه فيها الشيخ محمد بن أبي بكر العمراني.
- من أعماله في العناية بالتراث: تحقيق وتقديم وتصحيح لكتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي وفي آخره تعريف بالمصنّف ابن العربي طبع في حياته سنة 1926 م.

3. التعريف بكتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير

جاء هذا المطلب ليسلّط الضوء على أصل كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير وأهم موارده.

1.3. أصل الكتاب:

لم يعتمد الإمام عبد الحميد بن باديس رحمته الله إلى تأليف كتاب مستقلّ في الحديث النبوي الشريف، وإنما كانت له صولات وجولات في شرح بعض الأحاديث نشرت على شكل مقالات في مجلّة الشهاب وغيرها وكذا على شكل دروس شفوية ألقيت في المساجد، وحتى تعم الفائدة ويستفاد طلاب الشيخ من هذا، ارتأوا أن يجمعوها في كتاب مستقلّ تحت عنوان: "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، وهو ما نعلم إلى بيان منهج المؤلف في التعامل مع الحديث النبوي الشريف فيه⁽¹⁾.

2.3. موارده في الكتاب⁽²⁾:

أولاً: موارده الحديثية:

أ- متون الأحاديث:

الكتب الستة: وهي البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، فإنّه ما من مصنف في الحديث إلّا ويعتمد عليها لما اتفق عليه عند أهل العلم من منزلتهم في الإسلام.

مسند الإمام أحمد بن حنبل ومعاجم الطبراني الثلاث ومسند عبد بن حميد وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان والمستدرک على الصّحّاحين للهاكم وشعب الإيمان للبيهقي وغيرها كثير لا يتسع المقام لسردها.

(1) عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص 10-11.

(2) ينظر: بوحامدو يونس، الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه ومقاصده، ص 164-172.

موطأ الإمام مالك: كان الموطأ هو المقرر على طلبة ابن باديس في الحديث وقد دافع على اختياره رحمته الله أيما دفاع وقد تقدم ذكر ذلك في الدرس الحديثي عنده فلا حاجة لإعادته لكونه أقدم كتاب ولكونه ألفه إمام من الأئمة المتبعين وتأليفا لقلوب اهل البلد فهم مالكيون.

ب- كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم:

للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي [ت: 544هـ] وهذا الكتاب من أهم ما اعتمد عليه الإمام ابن باديس فقد درسه بعد عودته من تونس مباشرة وقد ذكرنا هذا فيما ذكرناه من عودته من تونس وما كان ذلك الا ليبين لهذه الأمة ان خير وسيلة للنهوض بهذه الأجيال هو الانتهال من معين النبوة الصافي بمعرفته صلى الله عليه وسلم ومعرفة شمائله فهو القدوة والأسوة.

ج- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر المالكي [ت: 463هـ]: وهو كتاب نفيس كان ينقل منه رحمته الله في شرحه للحديث كثيرا.

د- شروح الحديث: ونستفتح ذلك بما كان من شروح الكتب الستة: البخاري بشرح القسطلاني، وبشرح ابن حجر أي فتح الباري، مكمل اكمال المعلم للسنوسي، معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي، التمهيد والاستذكار لابن عبد البر، والمنتهى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي، الموطأ بشرح الزرقاني وغيرها.

ثانيا: موارده اللغوية:

اعتمد الكثير من الموارد اللغوية إلا أنه رحمته الله لا يعزو في بعض الأحيان منها:

- الشرح المختصر والمطول للسعد التفتازاني على تلخيص المفتاح.
- شرح الاشموني على الفية ابن مالك وابن عقيل عليها.
- شروح لامية الأفعال في الصرف ومنها شرح ابن الناظم البدر بن مالك.
- المزهر في علوم اللغة للسيوطي.

ثالثا: موارده التفسيرية:

اعتمد رحمته الله على الكثير من كتب التفسير منها: تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم ومعالم التنزيل للبلغوي وتفسير البيضاوي وتفسير ابن كثير والجواهر الحسان للثعالبي فتح القدير للشوكاني وغيرها.

رابعا: موارده الفقهية:

شروح مختصر خليل، وتقريب المسالك للدردير وشروح تحفة الحكام كشرح التاودي وشرح التسولي وشروح الرحبية في علم الفرائض.

خامسا: موارده الأصولية:

من ذلك كتب شهاب الدين القرافي كالتنقيح وشرحه وشرح المحلي على متن جمع الجوامع لتاج الدين السبكي وإعلام الموقعين لابن القيم وغيرها.

سادساً: كتب التواريخ والتراجم:

اعتمد رحمه الله كذلك على كتب التراجم فنذكر منها: تاريخ دمشق لابن عساكر وحلية الاولياء لابي نعيم الاصبهاني والكامل في التاريخ لابن الأثير وميزان الذهبى والديباج لابن فرحون المالكي وترتيب المدارك للقاضي عياض وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير والاستيعاب لابن عبد البر وغيرها من كتب الرجال والتواريخ.

4. منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في الكتاب

يتضمن هذا المطلب الحديث عن منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في شرحه للحديث النبوي على النحو الآتي:

1.4. منهجه من حيث التوسع والاختصار⁽¹⁾:

للإمام ابن باديس رحمه الله ثلاث طرق في شرح الحديث من حيث التوسع والاختصار هي على النحو الآتي: أولاً: فئة توسع في شرحها وهي التي تعرض لها ضمن موضوع معين وبحث فيه ابتداء مثل مسألة الصلاة، مثالها موضوع الصلاة على رسول الله ﷺ، إذ تطرق لها في سبعة أجزاء، فأتى على القسم النظري والعملي منها، وأسبق القول في شرح أحاديثه في أزيد من ثلاثين صفحة، معضداً دراسته بآيات من القرآن الكريم⁽²⁾.

ثانياً: فئة توسّط في شرحها وهي في الغالب أحاديث الموطأ إذ لم يسهب فيها ولم يتوسّع، وهي التي سيتمّ التمثيل لها بنوع من التفصيل لأنها غالبية على الكتاب.

ثالثاً: فئة شرحها بنوع من الاختصار وهي الأحاديث التي شرحها في مجلة الشهاب، إذ اختصر شرحه لها بما يتماشى ومستوى القراء، مثل الموضوع الذي اصطلح عليه قيمة الرجل بقيمة قومه، إذ ذكر الحديث ثم أتى على الكلام عليه في بضعة أسطر⁽³⁾.

ولكن من حيث العموم فإنّ شرح ابن باديس الذي جمع في كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير يندرج ضمن الشروح المختصرة للأحاديث.

2.4. منهجه في شرح معاني الحديث □:

للمؤلف رحمه الله طريقة بديعة في شرح الحديث اعتمد فيها على التبويب على ما هو بصدد من الشرح نذكرها كالتالي:

1. التمهيد: قبل دراسة الحديث دراسة تفصيليّة يعطي للقارئ صورة عن المناسبة التي قيل فيها الحديث أو الملابسات التي أحاطت به، أو إزالة إشكال لا يفهم الحديث إلّا بإزالته أو توضيح غموض.

(1) عامر العرابي، مرجع سابق، ص 289. بوحامادو يونس، مرجع سابق ص 192.

(2) ينظر: عبد الحميد باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص 217-249.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 103-104.

2. السّند: ويتعرض فيه لدراسة رجال السّند أو ترجمة راو أو ذكر تعدّد الطّرق.
 3. سبب الورد: يذكر سبب الورد إن وجد.
 4. المتن: ويذكر فيه اختلاف الروايات أو الزيادات ويبين الصّحيح منها والضّعيف والرّاجح والمرجوح.
 5. المفردات: يشرح الكلمات الغريبة.
 6. التراكيب: ويذكر فيها الإعراب والوجوه البلاغية.
 7. المعنى: إذ يصيغ المعنى الإجمالي للحديث بطريقة سهلة سلسلة يستوعبها القارئ أو السّامع، وأحيانا يدرج تحتها عناوين فرعية زيادة في الإيضاح والبيان.
 8. الأحكام: يورد فيها الأحكام المستفادة من الحديث المدروس سواء كانت في الأصول أو الفروع.
- والمعلوم منه رحمته الله، أنّ طريقته هذه ليست مطّردة مع كلّ الأحاديث، إذ ذكرناها بهذه الشّاكلة من حيث العلوم فقط، وإلاّ قد ينقص فيها وقد يزيد عليها، ومن أمثلة العناوين التي قد يزيدها قوله: إرشاد وتحذير، تعميم، اقتداء..⁽¹⁾.
- 3.4. مثال تطبيقي أوّل: العنوان: تعليم النّساء الكتابة.
- أوّلًا: ساق لفظ الحديث فقال: عن الشّفاء بنت عبد الله قالت: "دخل عليّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وأنا عند حفصة. فقال لي: "ألا تعلّمين هذه رقية النّملة كما علّمتها الكتابة" رواه أبو داود⁽²⁾.
- ثانيًا: أتى بالدّراسة الإسنادية وساقها على النّحو الآتي:
- السّند: "رجاله رجال الصّحيح إلّا إبراهيم بن مهدي البغدادي فلم يخرج له فيهما لكنّه ثقة، وثقه أبو حاتم وابن نافع وابن حبان، وقد تابعه غيره، وخرج الحديث أيضا النّسائيّ والبيهقي في السنن"⁽³⁾.
- ثالثًا: الدّراسة المتنّية، وساق عنوانها بلفظ "المتن":
- وأورد تحتها عناوين جزئية، إذ ابتدأ فيها بترجمة الصّحابتين الجليلتين الشّفاء وحفصة رضي الله عنهما، فقال:
- الأشخاص: "الشّفاء هي بنت عبد الله القرشيّة العدويّة من السّابقات والمهاجرات الأوّل رضي الله عنهما وحفصة هي بنت عمر بن الخطّاب أم المؤمنين رضي الله عنهما"⁽⁴⁾.
- ثمّ أتى على شرح الألفاظ، فقال:
- ب. الألفاظ:
- النّملة: "قروح تخرج في الجنب ورقبتها: كلام كانوا يقولونه عليها ممّا لا محذور فيه، فأقرّه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ولم يذكر الرّواة نصّه"⁽⁵⁾.

(1) المتصفّح لشرحه سيلحظ هذا.

(2) سنن أبي داود، كتاب الطّب، باب ما جاء في الرّقي، حديث رقم: 3887.

(3) عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص 159.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

ثم تطرّق للمعنى العام للحديث، فقال:

ج. المعنى: "عرّف صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الشّفاء كانت علّمت حفصة الكتابة، وكانت الشّفاء من عاقلات النّساء وعارفاتهنّ، فدعاها إلى تعليم حفصة رقية النّملة وحثّها عليها، ونشّطها لذلك بتذكيرها بتعليمها لها الكتابة، فمن كان من شأنه عمل من الأعمال خفّ عليه القيام به، مبيناً لها بذلك أنّ تعليم هذه مثل تعليم تلك في النّافع وفعل الخير"⁽¹⁾.

د. الأحكام والفوائد:

وبعدها استفاض في ذكر الأحكام والفوائد تحت عنوان الأحكام والفوائد بأن ذكر مشروعيّة الرّقية شريطة ألا تكون من الكلام المحظور غير المفهوم، ذلك أنّ الأقوال قد تكون سبباً للشّفاء كالأدوية تماماً. فالأولى تخاطب الرّوح كما الثّانية تخاطب الجسد، وفيه الحثّ على تعلّم الرّقية وتعليمها ما لم تكن شركاً، ثمّ تطرّق إلى الحديث عن تعليم النّساء الكتابة والذي هو موضوع الدّراسة وذكر أدلّة ذلك وأنّه لا فرق في ذلك بين النّساء والرّجال وإنّما ذكرت الأدلّة مخاطبة للمذكر دون المؤنث على طريقة التّغليب لا أكثر⁽²⁾.

هـ. توسّع في الاستدلال:

إذ أتى فيها على ذكر أنّ التّعليم حقّ سواء على الرّجال والنّساء، واستدلّ بآيات من الذّكر الحكيم، وأنّ الرّجاء شقائق الرّجال في هذا الواجب، كما أتى على ذكر فضل العلم وأنّ المولى عزّ وجلّ أقسم بالقلم تعظيماً لشأن العلم والتّعلّم والحثّ عليه⁽³⁾.

و. الاقتداء:

ذكر رحمته في هذه النّقطة كما هو بيّن من عنوانها، أحقيتنا في الاقتداء بمن قبلنا من العالمات الكاتبات المفيدات وأنّ طرقنا في الاقتداء هي التي تبوّئ منزلتنا بين الأمم، فقال: "فاستناداً إلى هذه الأدلّة، وسيراً على ما استفاض في تاريخ الأُمّة، من العالمات الكاتبات الكثيرات علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا، في رجالنا ونسائنا، على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشريّة جمعاء، وثمار جهادها في أحقاب التّاريخ المتطاولة، وبذلك نستحقّ أن نتبوّأ منزلتنا اللائقة بنا والتي كانت لنا بين الأمم"⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق، ص 160.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 160.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 161.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 161.

4.4 مثال تطبيقي ثاني: العنوان: التستر بالنقائص.

أولاً: ساق لفظ الحديث فقال: عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلّ أمّي معافى إلا المجاهرين، وإنّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربّه ويصبح يكشف ستر الله عليه" رواه البخاريّ ومسلم⁽¹⁾.

ثانياً: الدّراسة المتنيّة:

وبلاحظ هنا أنّه لم يأت على الدّراسة الإسناديّة من حيث الحكم على سند الحديث، وذلك راجع إلى كونه مخرّجاً في الصّحيحين، لذلك ذهب مباشرة إلى الدّراسة المتنيّة، وقد كانت في هذا الحديث على النّحو التّالي:

أ- الكلمات:

وقد غيّر اصطلاحه فيها مقارنة بالمثل الذي سبق، حيث أسماها فيه "الألفاظ"، ومحتواها واحد، إذ يقصد منها شرح غريب الحديث، فأتى على شرح كلمة:

ب- المعافى: "من العافية وهي السّلامة، فالمعافى هو السّالم، ويحتمل أن يكون المراد هنا سلامة العرض من القدح، أو سلامة البدن من الحدّ، أو سلامة العاقبة من المؤاخذة بالدّنب، والمجاهر هو المعلن بنفسه"⁽²⁾.

ج- المعنى:

استفاض رحمته الله في الحديث عمّن تشمله لفظة معافى، وهو ذلك المذنب الذي انكسر بسبب ما فعله، أمام ربّه وأمام نفسه، فستر نفسه ليسلم لدينه وإيمانه، ولعلّه يسلم من المؤاخذة على معصيته بسبب تستره عليها، أمّا المجاهر فقد أذى مجتمعه بفحشه وإيقاده للقدوة السيّئة في أواسط النّاس، وهو بذلك يتعدّى على حدود دينه بانتهاكه للحرّمات وتجريء السّفهاء، وانتزاع الخوف والحياء، والمجاهر إن حدّث بالدّنب الصّغير اعتاد هتك السّتر وفضّح ارتكابه للكبائر⁽³⁾.

د- استنباط:

تحدّث عمّا يستنبط من الحديث من أنّ المجاهرة بالمعصيّة، تعدّ معصية زائدة على المعصية الأولى، وأنّ المجاهر بذلك يحمل سّوءات كلّ من اقتدى به، ممّن عصى كما عصى، كما أنّ هذا الفعل الشّنيع

(1) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم: 6069، صحيح مسلم، كتاب الزّهد والرفائق، باب النّهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، حديث رقم: 2290.

(2) المصدر السّابق، ص 125.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 125-126.

ليس خاصًا بالذنب الذي ارتكبه صاحبه فقط، وإنما وجب التستر على معاصي الغير ولو كانوا هم أنفسهم قد جاهروا بها⁽¹⁾.

هـ- تنبيه وتحذير:

قال رحمه الله: "المجاهر بفسقه الذي لا يستتر من أحد يجوز ذكره بفسقه الذي جاهر به، إذا كان في ذكره به مصلحة أو دفع مفسدة، ويجب أن يحذر من ذكره لغير ذلك، فإنه من الغيبة وإذاعة الفاحشة"⁽²⁾.

و- اعتبار:

أسقط ابن باديس معنى الحديث النبوي على واقع الأمم، فأفاد أن الأمة التي تحارب الفسق والمجون بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، وتصديها لفشو الفواحش، أمة مرحومة على قدر واسع من الاستقرار، على عكس الأمة التي تترك فساقها في ازدياد وهي تنظر فهي أمة هالكة لا محالة⁽³⁾.

ز- تربية:

من التربيوات التي ذكرها ابن باديس رحمه الله، محاولة اجتناب المعاصي جملة وتفصيلاً، ومن وقع فيها أخفاها وتضرع إلى المولى عز وجل تائباً إليه، فهو سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين⁽⁴⁾.

من خلال هذا المثالين يتضح أن الإمام ابن باديس رحمه الله، لم يكن له تطرق لكل النقاط السالفة الذكر مع كل الأحاديث، إذ اكتفى هنا بدراسة السند، ثم أدرج نقاطاً فرعية في دراسته للمتن، فترجم للصحابة راوية الحديث بنوع من الاختصار وشرح غريب الحديث، ثم أتى على المعنى العام للحديث والأحكام والفوائد وختم دراسته بإسقاط للحديث على الواقع تحت باب الاقتداء كل ذلك كان بنوع من الاختصار.

5. ما يستفاد من منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في شرحه للحديث

إن المتأمل لهذا الأثر الذي تركه الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس في الدرس الحديثي، يعلم جلياً أن له أهمية بالغة في الجزائر خاصة وللعالم من حيث العموم، ذلك أنه أفرد طريقه بديعة في شرح الحديث، فلم يخرج أولاً عن الاستدلال بأقوال السلف والعلماء الأقدمين في بيان شروحهم للأحاديث التي اختارها، ثم أظهر إبداعه الذي ينم عن نظرة ثاقبة وفهم لمراد النبي ﷺ من هذا الحديث، وذلك بإسقاطه لمعاني تلك الأحاديث على الواقع بما يخدم الفرد والمجتمع، وهذا لعمرى من صميم تطبيق السنة وخدمة واقع الأمة، بنوع من الإصلاح وإقامة الاعوجاج الذي اعتراها بسبب بعدها عن هذا الهدى وعدم فهمه.

إذ كان إصلاحه متنوعاً غير مقتصر على جانب واحد، فمرة تجده دينياً، بهدمه للبدع والطرق الصوفية المنحرفة، إذ تطرق إلى موضوع القبور والسجود لها وبيان القبور عليها، وذكرها تحت عنوان:

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 127.

(2) المصدر نفسه، ص 127.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 127.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 127.

"بناء المساجد على القبور من فعل شرار الخلق عند الله يوم القيامة"⁽¹⁾، ومرة تجده سياسيًا كما اصطلح على أحد موضوعاته اتحاد المؤمنين وتعاونهم⁽²⁾، وقال في شرحه له تحت عنوان سلوك ما يلي: "علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب أكيد، محتّم علينا مع جميع المؤمنين، وأنّ فيه قوّتنا وحياتنا، وفي تركه ضعفنا وموتنا، وأن نعلن ذلك بألسنتنا في كل مناسبة من أحاديثنا، وأن نعمل على تحقيق ذلك بالفعل باتحادنا وتعاوننا مع إخواننا في كلّ ما يقتضيه وصف الإيمان الجامع العام، والله المستعان وعليه التكلان"⁽³⁾، أمّا الإصلاح الاجتماعي فهو غالب ما كان يدعو إليه، من ذلك اختياره لموضوع الرّاعي الغاش لرعيّته، فقال فيه: "كل من تولّى أمرا من أمور الأمة فهو من رعايتها المسؤولين عنها، المتوعّدين بهذا الوعيد الشّديد إذا غشّوها على أيّ وجه كانت تلك الولاية من الوجوه التي تختلف باختلاف الأمم وأوضاعها، ومما هو من أعظم الولاية على الأمة اليوم بحسب وضعها النيابة عنها، والتكلم بلسانها من أدنى درجات تلك النيابة إلى أعلاها، فليعلم هذا من يتقدّم لهذه الولاية، وليراقب الله فيها، كما على كلّ راع أن يعلم هذا الوعيد ويحذر أن يقتحمه"⁽⁴⁾.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ ابن باديس إذا فرغ من شرح الحديث على الطّريقة المعتادة عند الغالبية، يعمد إلى ذكر فقرات متنوعة حسب طبيعة الموضوع الحديثي الذي أراد دراسته، إذ نجده أحيانا يذكر العناوين الآتية: توجيه، إرشاد، اقتداء، تحصيل تطبيق، تفرقة وتحذير، توصية، وغيرها من الألفاظ التي توضع تمام الوضوح أنّ طريقتة في الشّرح تدخل ضمن ما اصطلح عليه بالحديث الموضوعي، لما فيه من معالجة للواقع تحت كلّ حديث اختاره.

6. خاتمة

أولاً: النتائج:

- من خلال ما سبق دراسته، يمكننا أن نصوغ أهمّ نتائج هذا البحث على النّحو الآتي:
- كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير في أصله عبارة عن مجموعة مقالات منشورة في مجلّة الشّهاب، وبعض الدّروس المسجديّة للإمام ابن باديس قامت جمعية العلماء بضمّنها تحت هذا الكتاب.
- للإمام ابن باديس باع واسع في علم الحديث النبويّ الشّريف ويلاحظ ذلك من خلال موارده الواسعة في الكتاب، وكذا من خلال منهجه محلّ الدّراسة، ويمكن أن نقسّم اطلاعه الواسع على النّحو الآتي:

(1) المصدر السابق، ص 149.

(2) المصدر نفسه، ص 99.

(3) المصدر نفسه، ص 102.

(4) المصدر نفسه، ص 124.

- معرفته بعلم النقد الحديث والجرح والتعديل وإطلاعه على أقوال النقاد في الرواة.
- سعة إطلاعه على فقه الحديث من حديث شرح الغريب، والمعنى الإجمالي والأحكام والفوائد المستنبطة منه.
- إسقاطه على كل ما سبق في الواقع ينم عن نظرة بعدية إصلاحية مستنبطة من الحديث النبوي الشريف.

ثانياً: التوصيات:

- من خلال ما سبق يمكنني الحث على التوصيات التالية:
- اعتماد منهج الإمام عبد الحميد بن باديس في شرحه للحديث النبوي في المؤسسات التعليمية، لما فيه من فوائد في تكوين شخصية الدارس وتقريبه من المراد النبوي واقعياً.
- جمع آثار الإمام عبد الحميد بن باديس الحديثية، ودراسها في دراسة أكاديمية جادة من قبل المتخصصين في الحديث وعلومه، إذ هو أهل لأن يجمع جهده وأثره فيه.

7. قائمة المراجع

- الإبراهيمي، أحمد طالب، (1997)، (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- آل خليفة، محمد العيد، (2010)، (ديوان محمد العيد آل خليفة)، عين مليلة، دار الهدى.
- ابن باديس، عبد الحميد، (2003)، (تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن باديس، عبد الحميد، (1983)، (مجالس التذكير من حديث البشير النذير)، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، (1422)، (صحيح البخاري) بيروت، دار طوق النجاة.
- بوحامدو، يونس، (2015م-2016م)، (الدّرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه ومقاصده)، إيش: رضا بوشامة، جامعة الجزائر 1، الجزائر.
- السّجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، (2009)، (سنن أبي داود) بيروت، دار الرسالة العالمية.
- طالبي، عمّار، (1997)، (آثار ابن باديس)، الجزائر، الشركة الجزائرية.
- العراقي، عامر علي، (1408هـ-1409هـ)، (الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- بن علجية، لحسن، (2022)، (معجم طلبة الإمام ابن باديس)، عين مليلة: دار الهدى.
- نويهض، عادل، (1980)، (معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين، (1991)، (صحيح مسلم) بيروت، دار الكتب العلمية.

9. Bibliography List

- Al-‘Urabi, ‘Amer ‘Ali, (1408–1409 AH), Al. Imam ‘Abd al. Hamid Ibn Badis wa Manhajuhu fi al. Da‘wah min Khilal Atharihi fi al. Tafsir wa al. Hadith, Umm al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.
- Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma‘il Abu ‘Abd Allah, (1422 AH), Sahih al. Bukhari, Beirut: Dar Tawq al-Najah.
- Al-Ibrahimi, Ahmad Talib, (1997), Athar al. Imam Muhammad al. Bashir al. Ibrahimi, Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
- Al-Khalifah, Muhammad al-‘Id, (2010), Diwan Muhammad al. ‘Id Al. Khalifah, ‘Ayn M’lilah: Dar al-Huda.
- Al-Naysaburi, Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Husayn, (1991), Sahih Muslim, Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Sijistani, Sulayman ibn al-Ash‘ath Abu Dawud, (2009), Sunan Abi Dawud, Beirut: Dar al-Risalah al-‘Alamiyyah.
- Bin ‘Aljiyah, Lahsan, (2022), Mu‘jam Talabat al. Imam Ibn Badis, ‘Ayn M’lilah: Dar al-Huda.
- Bouhamadou, Younes, (2015–2016), Al. Dars al. Hadithi ‘inda al. Imam Ibn Badis: Manhajuhu wa Maqasiduhu, Supervised by: Reda Bouchama, University of Algiers 1, Algeria.
- Ibn Badis, ‘Abd al-Hamid, (1983), Majalis al. Tadhkir min Hadith al. Bashir al. Nadhir, Al-Jaza’ir: Wizarat al-Shu’un al-Diniyyah.
- Ibn Badis, ‘Abd al-Hamid, (2003), Tafsir Ibn Badis min Majalis al. Tadhkir min Kalam al. Hakim al. Khabir, Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Nuwayhid, ‘Adil, (1980), Mu‘jam A‘lam al. Jaza’ir min Sadr al-Islam hatta al-‘Asr al-Hadir, Beirut: Mu’assasat Nuwayhid al-Thaqafiyyah.
- Talibi, ‘Ammar, (1997), Athar Ibn Badis, Al-Jaza’ir: Al-Sharikah al-Jaza’iriyyah.